الدور المصري في اتفاقية الحكم الثنائي للسودان (١٨٩٩ – ١٩٥٦)

م.د. نعيمة لطيف عبدالله
جامعة البصرة / كلية الآداب
قسم التاريخ الحديث والمعاصر
aldktwrhnymhltyf@gmail.com

الملخص :

تقع السودان في الجزء الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا وهي أكبر الأقطار الأفريقية مساحةً وقد تم فتحها في عام ١٨٢١ من قبل والي مصر محمد علي إذ كانت لهُ رغبةً شديدةٍ في السيطرة على مناجم الذهب والتحكم في منابع نهر النيل , لكن سرعان ما تدهور الوضع العام للسودان بعد وفاة محمد علي وفرض الضرائب الثقيلة على كاهل الشعب السوداني وطرق جبايتها وتدهور الوضع الأجتماعي والاقتصادي والصحي للسودان , فضلاً عن تغلغل الامتيازات الأجنبية ومالحقتهُ الإدارة البريطانية في مناطق السودان في فترة الحاكم تشارلز غوردن وقساوتها والتي أدت إلى قيام الحركة المهدية للتخلص من الوجود المصري والبريطاني للسودان , كل ذلك أدى إلى فرض اتفاقية الحكم الثنائي البريطاني–المصري للسودان في(١٩كانون الثاني عام١٨٩٩) ورفع العلمين البريطاني والمصري في الأراضي السودانية ومن جانب آخر بروز العديد من ردود الفعل العربية والأجنبية للاتفاقية التي انتهت بعد ثورة عام ١٩٢٤ بإنهاء الوجود المصري للأراضي السودانية ومجيئ ثورة (يوليو/تموز عام١٩٥٢) في مصر وما حوتهُ من بنود تم استقلال السودان عام ١٩٥٦.

الكلمات المفتاحية: (الدور المصري، اتفاقية الحكم الثنائي للسودان، الادارة البريطانية).

The Egyptian Role in the Condominium of Sudan (1899 - 1956)

Dr.. Naima Latif Abdullah
Basra University/College of Arts
Department of Modern and Contemporary History
aldktwrhnymhltyf@gmail.com.

Abstract:

Sudan is located in the northeastern part of the continent of Africa, and is the largest of the African countries in area. It was conquered in 1821 by the governor of Egypt, Muhammad Ali, as he had a strong desire to control the gold mines and control the sources of the Nile River, but the situation quickly deteriorated General of Sudan after the death of Muhammad Ali, the

imposition of heavy taxes on the Sudanese people and the methods of their collection, and the deterioration of the social, economic and health status of Sudan, as well as the penetration of foreign privileges and the persecution of the British administration in the regions of Sudan during the period of ruler Charles Gordon and its cruelty, which led to the establishment of the Mahdist movement to get rid of the Egyptian presence and the British for Sudan, All of this led to the imposition of the British-Egyptian dual-rule agreement for Sudan on January 19, 1899, and the raising of the British and Egyptian flags in the Sudanese lands. And the coming of the revolution (July 1952) in Egypt and its contents, the independence of Sudan was achieved in 1956.

Keywords: (The Egyptian role, the Condominium Agreement for Sudan, the British Administration).

المقدمة :

تعتبر فترة الحكم الثنائي المصري – البريطاني فترة مهمة في تاريخ بلاد السودان لما صاحب هذه الفترة من أحداث عالمية وعربية تركت آثارها على التاريخ السوداني وأبرز هذه الأحداث هي القضاء على الحركة المهدية بعد أن رأت بريطانيا أنها التهديد الأول لمصالحها في السودان , وعقد المعاهدة البريطانية المصرية حول السودان عام ١٨٩٩ , وكذلك أحداث الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م , وقد سخرت بريطانيا بلاد السودان لخدمتها , وقد استغلتهُ في تمويل جيوشها في الشرق .

وقد أشتمل البحث على مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة , وتناول المبحث الأول أوضاع السودان قبل الحكم الثنائي , وقد تطرق إلى السيطرة المصرية على بلاد السودان , وكذلك التغلغل البريطاني في تلك البلاد .

وقد تناول المبحث الثاني الاتفاقية البريطانية – المصرية حول السودان , وكذلك المواقف الدولية من الحكم الثنائي المصري – البريطاني في السودان , وذكر موقف الدولة العثمانية وموقف فرنسا وإيطاليا وأثيوبيا وكذلك موقف الكونغو .

كما تناول المبحث الثالث أهم الثورات التي حدثت في السودان , كما استعرض أثر الحرب العالمية الأولى على بلاد السودان , كما تطرق إلى أهم الأحداث التي أدت إلى سحب القوات المصرية من السودان ونهاية الحكم الثنائي وأستقلال السودان عام ١٩٥٦ .

وقد أعتمد الباحث على عدة مصادر كان في المرتبة الأولى من الأهمية كتاب السودان عبر القرون لمكي شبيكه , وكذلك السودان في الحكم الثنائي الأول ليونان لبيب رزق , فضلاً عن كتاب دينا فاروق صالح العمر , (الغريق , إبراهيم عبود , الحكم العسكري الأول في السودان ١٩٥٨ – ١٩٦٤) والذي زود البحث بعدد كبير من الوقائع التأريخية في استقلال السودان لعام ١٩٥٦ . وكذلك أعتمد على بعض الرسائل والأطاريح منها , عبدالكريم الغزي , الحياة السياسية في السودان , رسالة ماجستير (غير منشورة) , مقدمة إلى كلية التربية أبن رشد جامعة بغداد , ٢٠٠٣ . وكذلك , أبتسام محمود جواد العكيلي , الحياة الديمقراطية في السودان (١٩٥٣ – ١٩٦٩) , رسالة ماجستير (غير منشورة) , مقدمة إلى كلية التربية للبنات جامعة بغداد , ٢٠٠٣

المبحث الأول

أوضاع بلاد السودان قبل اتفاقية الحكم الثنائي (البريطاني – المصري)

أولاً – بلاد السودان :

تقع السودان في الجزء الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا بين دائرتي عرض (٣٠٣٠,٢٢)° شمالاً , وخطي طول (٢١,٤٥)° شرقاً , تبلغ مساحتها (٢,٥٠٥,٨١٣) كم[١] . وأن السودان يَّعدٌ من أكبر الأقطار الأفريقية ويمثل (٨٠٠ %) من مساحة القارة , ويشكل (٢,٢ %) من مساحة العالم , وهو أكبر من عشرة أضعاف من مساحة بريطانيا وثلاثة أضعاف مساحة مصر , وضعف مساحة ألمانيا وفرنسا مجتمعتين ,

وثلث مساحة اوربا[٢] . أما حدود السودان فتحده من الشمال مصر , ومن الشرق البحر الأحمر وأثيوبيا ومن الجنوب كينيا وأوغندة والكونغو , أما من الغرب فتحدهُ ليبيا والتشاد ويكاد كل حدودهُ من اليابسة عدا واجهة البحر الأحمر[٣] . أما مناخهُ فيمتاز بتدرجهُ من المناخ الصحراوي في الشمال إلى المناخ الحراري الرطب في الجنوب[٤]. ويقسم السودان إلى ثلاثة أقاليم هي (السودان الشمالي , السودان الأوسط , جنوب السودان)[٥].

السودان الشمالي : يمتد من حدود السودان المحاذية لجنوب مصر إلى الشمال من دائرتي عرض (١٦ – ٢٢)° شمال خط الأستواء , وأهم مناطقهُ المدن الشمالية ومدن البحر الأحمر والخرطوم , وأن هذه الأقاليم من أشد مناطق العالم حرارة[٦] .

السودان الأوسط : وهي المنطقة الممتدة من دائرتي عرض (١٦ – ١٠)° جنوب خط الأستواء , وأهم مناطق هذا الإقليم (دار فور , كردفان , النيل الأزرق) , وأن مناخهُ شبه صحراوي مع أشتداد في درجات الحرارة , وتقع في هذا الإقليم أهم مناطق السودان الزراعية[٧] .

جنوب السودان : يمتد هذا الإقليم من دائرتي عرض وإقليم جنوب السودان جغرافياً , ذلك الجزء من جمهورية السودان الذي يقع جنوب خط عرض (١٠)° وحتى دائرة عرض (١٥)° . يضم ثلاث مديريات هي (بحر الغزال , أعالي النيل , الاستوائية) , وبحر الغزال ويضم مديريات البحيرات , وشرقي بحر الغزال , وغربي بحر الغزال , وعاصمتهُ مدينة واو . أما أعالي النيل ويضم مديرتي أعالي النيل وجونقلي , والعاصمة ملكال . أما الاستوائية فتضم مديرتي شرق الاستوائية وغرب الاستوائية والعاصمة جوبا[٨] . وأنَّ أصل تسمية السودان فأنها تسمية عربية تعني بلاد السود لسواد بشرة

سكانها , وأطلق العرب هذه التسمية على المناطق الممتدة ما بين جنوب الصحراء الكبرى إلى المحيط الأطلسي , واطلق المصريين على هذه المناطق أسم بلاد النوبة (أي بلاد الذهب)[٩] . وقد كان تعبير واستطلاح السودان يحمل المعنى أو الطابع الجغرافي على الأرض التي تقع في جنوب مصر , وتتضمن القطاع الأعظم من النيل الأوسط , وقد جاء استخدام السودان للتعبير عن مدلول سياسي لاحق بكيان يشمل حوض النيل الأوسط ومناطقهُ[١٠] . أما عن قبائل السودان على نوعين قبائل عربية وأخرى زنجية , وأن القبائل العربية تسكن في الشمال , بينما تسكن القبائل الزنجية في الجنوب , وأن معظم القبائل السودانية هو رعاة وليسوا مزارعين[١١] .

ثانيا – السيطرة المصرية على بلاد السودان :

بحلول عام ١٨٢١م فتح محمد علي[١٢] والي مصر العثماني بلاد السودان , وكانت هذه الخطوة جزاء من خطتهُ التوسعية في إقامة دولة قوية على نسق الدول ذات الإطار الإمبراطوري سواء في الشرق حيث تقوم الإمبراطورية العثمانية أو في حيث ذاع صيت الإمبراطورية الفرنسية والبريطانية , فضلاً عن مطاردت المماليك الذين ذهبوا إلى السودان بهدف السيطرة عليه بدعم من الدول الأوربية لآجل إقامة دولةً تحقق مطامعهم وتوسعاتهم[١٣] .

إذ عرف السودان الاتجار مع الخارج منذ أقدم الأزمات وأن أول تلك العلاقات بدأت مع مصر بانتعاش التبادل التجاري منذ أقدم عصور الفراعنة من خلال طرق تجارية كثيرة أبرزها طريق بربر كرسكو , وطريق الأربعين من دار فور إلى أسيوط , وطريق أخر يبدأ من دنقلا في السودان إلى الواحات متصلاً بطريق الأربعين , إذ يحمل هؤلاء التجار كميات كبيرة من العطور والروائح الهندية والصابون والمنسوجات

والبهارات , والعدد الحديدية ويرجعون بالرقيق والصمغ وسن الفيل مما عرف السودان بإنتاجه . وقد تكونت المدن السودانية أبان فتح محمد علي منذ عام ١٩٢١ من مملكة ستار ذات الدويلات الصغيرة ودرافور وكردفان الشمالية(١٤) . وقد أتبع محمد علي في نظامهُ الإداري للسودان نظام لإدارة مركزية موحدة وإزالة تلك المملكات والإمارات الصغيرة , واتصال السودان بالعالم الخارجي , وعمل على إجراء اصلاحات عديدة تهدف إلى تحسين طرق الزراعة والري وزيادة الإنتاج الحيواني , لكنهُ في الوقت نفسه عمل على تطبيق الإدارة التركية في السودان , وبالتالي ارهاق الأهالي بثقل الضرائب وقسوة جبايتها(١٥) . وقد كان لمحمد علي رغبة في الاستيلاء على مناجم الذهب في السودان والوصول إلى منابع نهر النيل , وتقوية الجيش المصري من خلال تحشيد السودانيين القاطنين في جبال النوبة والمناطق الجنوبية , ونتيجةً لذلك أصبح السودان تحت الحكم المصري حتى عام ١٨٨٥(١٦) .

وبعد أن اعتلا إسماعيل باشا العرش المصري بعد وفاة والدهِ محمد ودخول مصر تحت النفوذ الأجنبي , وبعد شق قناة السويس التي أصبحت تدار من قبل البريطانيين والفرنسيين الذين أصبحوا يتحكمون بالحياة السياسية والعسكرية لمصر , وقد تذمر السودانيين من الوجود المصري في بلادهم , وخاصة بعد الاخطاء التي أرتكبها المصريون وما يخص فداحة الضرائب وطرق جبايتها , فضلاً عن مدى الضعف الذي أصاب الإدارة الحاكمة من الناحيتين المادية والمعنوية(١٧) .

وبعد أن عهد إسماعيل إلى القادة الأجانب عدد من المناطق السودانية وفوض لهم العمل بجميع الوسائل التي يرونها ضرورية للقضاء على المشاكل القائمة هناك , وكان أهم القادة الاجانب الذين لعبوا دوراً فعالاً في السودان هو تشارلس غوردون(١٨) ,

الذي أصبح الحاكم الفعلي للسودان من عام (١٨٧٧ – ١٨٧٩م) , الذي كان لهُ دوراً فعالاً في تثبيت الحكم البريطاني في السودان[١٩] .

ثالثاً – التغلغل البريطاني في السودان :

بدأت بريطانيا باستغلال عدة قضايا عند دخولها السودان , وكانت من اهم القضايا التي أستغلتها بريطانيا قضية الرقيق بعد أن رأت أن تجارة الرقيق تجارة مربحة وأنشأت المؤسسات التجارية لهذا الغرض بإعتبار أن الجنس الأسود يتحمل الكثير من المتاعب والأشغال , كما أن هذه التجارة أصبحت رائجةً لدى البريطانيين بسبب منع البريطانيين لهذه التجارة ظاهرياً بهدف الإضرار بالمنافس القوي لها في هذه التجارة وهي الولايات المتحدة , وهذا المنع سبب نقصاً في الأيدي العاملة الأمريكية[٢٠] .

وبعد قيام الحركة المهدية بقيادة محمد بن أحمد المهدي[٢١] في السودان , ونتيجة لعدة عوامل (اجتماعية , دينية , اقتصادية , إدارية , سياسية) التي هزت المجتمع السوداني آنذاك لأختلاف العادات والتقاليد لكل من مصر والسودان , خاصة وأن مصر قد تأثرت بالحياة والنظم الإدارية الحديثة مقارنةً بالنظم والحضارة السودانية البسيطة , فضلاً عن تقرير تشريعات جديدة للتجارة والضرائب وتجارة الرقيق واحتكار بعض الموارد لصالح الحكومة الأثر الكبير في تصاعد هذه الأوضاع في السودان[٢٢] , وزيادة السخط من الضرائب الثقيلة التي أثقلت كاهل الفقراء , وبعد اتساع الدعوة المهدية وكثر اتباعها وتحولت من الدفاع إلى الهجوم واستطاعت سحق حركة يوسف الشلالي[٢٣] , التي بعث القضاء على هذه الحركة[٢٤] .

وقد تمكنت هذه الحركة من السيطرة على مناطق الأبيض وباراً في جنوب غرب الخرطوم تمكنها من إبادة قوات هكس قرب الخرطوم وبعد هذه الأنتصارات استطاعت

هذه الحركة من أثبات وجودها والقضاء على الحاكم العام غوردون فتم بذلك السيطرة على الخرطوم وتأسيس حكومة إسلامية في السودان[٢٥] . ولم يقوم البريطانيين بالاحتكاك بالحركة المهدية إلا بعد وفاة المهدي الذي خلفه عبدالله التعايشي[٢٦] , إذ وضعت الحكومة البريطانية خطة جديدة للقضاء عليهِ وذلك من خلال :

١- مطاردة الخليفة عبدالله التعايشي .

٢- القضاء على سيطرت الحركة أحمد فضيل في الشرق .

٣- أنهاء سيطرت الحركة المهدية في كردفان ودارفور .

٤- تحطيم قوة عري دفع الله في الجنوب[٢٧] .

ولم يكن عبدالله التعايشي بقوة المهدي فقام البريطانيين بإرسال حملة عسكرية كبيرة عام ١٨٩٦م , بقيادة كنشر للقضاء على حكم الحركة المهدية , وقد أستطاعت الحملة من الدخول إلى مدينة أم درمان بعد معركة كرري عام ١٨٩٨م[٢٨] . وبعد هذه الحملة توالت الحملات البريطانية للقضاء على عبدالله التعايشي واستطاعت بريطانيا من السيطرة على المدن التي كانت تحت سيطرة عبدالله التعايشي مما اضطرهُ إلى الهروب من السودان ثم توفى عام ١٨٩٩م , وبهذا العام بسطت بريطانيا سيطرتها على السودان بعد أن أنتهى وجود الحركة المهدية وتشرد أتباعها وأصبحت السودان بقبضة القوات البريطانية[٢٩] .

المبحث الثاني

الاتفاقيات البريطانية – المصرية حول السودان والمواقف الدولية من إعلان الحكم الثنائي على السودان

أولاً – الاتفاقيات البريطانية المصرية :

بعد أن سيطرت القوات البريطانية على السودان والقضاء على حكم الحركة المهدية أعلن كنتشر[٣٠] بأنهُ سيرفع العلمين المصري والإنكليزي وفي ذلك علامةً واضحةً تجاه الحكم الجديد بأن السودان ستكون تحت حكم ثنائي مصري إنكليزي[٣١] . وفي عام ١٨٩٩م تم التوقيع على اتفاقية الحكم الثنائي[٣٢] وحملت توقيع كرومر[٣٣] من الجانب البريطاني وتوقيع بطرس غالي من الجانب المصري , وقد كان كرومر صاحب الرأي الغالب في هذه الاتفاقية , وقد نصت الاتفاقية على تعيين دائرة عرض (٢٢)° شمالاً كحد فاصل بين مصر والإدارة الجديدة وترك الخط الجنوبي بلا تعيين للاتفاق عليه بين الدول المجاورة كعلامة واضحة لاشتراك في الحكم ويرفع العلمان الانكليزي والمصري على دور الحكومة , وتكون الإدارة العسكرية والمدنية العليا بيد موظف ترشحهُ الحكومة الإنكليزية ويعينهُ الخديوي , ويكون لقبهُ حاكم عموم السودان ولا يسمح بتمثيل قنصلي إلا بموافقة الحكومة البريطانية[٣٤] .

وقد كانت أبرز دوافع الحكومة البريطانية لعقد اتفاقية الحكم الثنائي ما يلي :

١- مسألة أبعاد " نظام الامتيازات الأجنبية " عن السودان , وذلك بإصدار (إعلان) صريح عن النظام السياسي والإداري والقضائي المزمع أنشاؤه في السودان يمنع أنشاء الامتيازات الاجنبية هناك .

٢- مسألة أبعاد التدخل العثماني عن السودان .

٣- يجب النظر إلى رغبة بريطانيا في السيطرة على السودان في نطاق سياستها الاستعمارية العامة وفي إطار استعمارها لأفريقيا , إذ كان وجود الإنكليز في السودان ظماناً لسلامة أملاكها الاستوائية إلى جانب تأمين وضعها في مصر بالسيطرة على منابع النيل , فضلاً عن تحكم إنكلترا في السواحل القريبة للبحر الأحمر , والتي تحوي مصر والسودان , فليس لديها ما تخافهُ على خط مواصلاتها مع الهند(٣٥).

وجاء في هذه المعاهدة أثنى عشر مادة هي(٣٦) :

المادة الأولى : تطلق لفظة السودان على جميع الأراضي الكائنة في جنوب دائرة عرض (٢٢)° , وهي الاراضي التي لم تتخلى عنها القوات المصرية منذ عام ١٨٨٢م , وكذلك الأراضي تحت الأراضي المصرية قبل ثورة السودان الأخير , كذلك الأراضي التي تفتحها الحكومتان معاً .

المادة الثانية : يستعمل العلم البريطاني والمصري معاً في البر والبحر في جميع أنحاء السودان ماعدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها إلا العلم المصري .

المادة الثالثة : تفوض الرئاسة العليا في السودان إلى مفوض واحد يلقب بحاكم عموم السودان , ويكون تعيينهُ بأمر من الخديوي بناءً على طلب الحكومة البريطانية ولا يفصل إلا بأمر من الخديوي ويصدر برضا الحكومة البريطانية .

المادة الرابعة : القوانين والأوامر واللوائح تسري مفعولها في جميع أنحاء السودان .

المادة الخامسة : لايسري على السودان أي من القوانين التي تصدر في مصر .

المادة السادسة : أن الامتيازات التي يصدرها حاكم عموم السودان للدول الأوربية تكون لصالح الدول ككل وليس لدولةً دون الأخرى .

المادة السابعة : عدم فرض رسوم كمركية على الواردات التي تأتي من مصر .

المادة الثامنة : في ما عدى مدينة سواكن لا تتمتع الحكومة المصرية بأي سلطات في السودان .

المادة التاسعة : يعتبر السودان بأجمعهُ ما عدى مدينة سواكن تحت الأحكام العرفية .

المادة العاشرة : لا يجوز تعيين قناصل أو وكلاء ولا يصرح لهم بالإقامة قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية .

المادة الحادية عشر : يمنع ادخال الرقيق إلى السودان أو تصديرهُ منه .

المادة الثانية عشر : الاتفاق بين الحكومتين البريطانية والمصرية على الوجوب المحافظة على تنفيذ معاهدة بروكسل المبرمة في تاريخ ١٨٩٠م في ما يتعلق بإدخال الأسلحة النارية والذخائر الحربية والأشربة المقطرة والروحية وبيعها وترويجها .

وأن الصفة بارزة على الاتفاقية من الإدارة أنها وضعت في يد الحاكم العام سلطات واسعة حتى لا يعوقهُ الرجوع إلى الحكومتين , ومع ذلك فالمعتمد البرلماني في مصر وخاصة في عهد كرومر يشرف عن بعد على ما يجري في السودان , ويشير وينصح عند الضرورة[٣٧] .

ثانياً – المواقف الدولية من إعلان الحكم الثنائي في السودان :

أن الموقف الدولي الذي أحاط بدخول الإنكليز إلى السودان وعملهم على الحصول على السيطرة الفعلية على السودان وعقدهم الاتفاقية الثنائية مع مصر عام ١٨٨٩م واجه عدة مواقف دولية معارضة[٣٨] .

<u>أولاً – موقف المجتمع المصري</u> : قوبل في مصر هذا الاتفاق بعاصفة من الأستنكار الشديد إذ سخطت الصحف العربية في مصر على ما اعتبرتهُ سلباً لحقوق مصر

الإدارية في السودان وقالت: " أنهُ مقدمة لاستيلاء الإنجليز على السودان ذاته " وازداد السخط عندما قامت الحكومة المصرية في (٢٩ كانون الأول ١٨٩٩) بتسديد مبلغ (٢١٥,٠٠٠) جنيه إلى الحكومة الإنجليزية قيمة نفقات الجنود الإنجليز في حملة السودان في واقعتي العطبرة وأم درمان , في حين شنت الصحف الفرنسية في مصر حملة عنيفة على الاتفاق لاسيما صحيفة "لوقارد لكسندري" وصحيفة "لونيل" , وصحيفة "لاريفورم" وقد غطت صحيفة "لوجرنال جيبباز" في (٢٥ كانون الأول ١٨٩٩) بسبب اللهجة الشديدة التي تحدثت بها عن تلك الاتفاقية[٣٩] .

ثانياً – موقف الدولة العثمانية : كانت الدولة العثمانية هي الدولة التي تمتلك الحقوق القانونية في السودان لأنها لا تمتلك القوة والمكانة الدولية ما يمكنهُ من الحصول على هذه الحقوق فبعد أن بلغ الحكومة المصرية برفع العلم المصري جنباً إلى جنب العلم البريطاني أرسل الخديوي هذا القرار إلى السلطان العثماني , فكان كل ما فعل السلطان أن أرسل خطاباً إلى السفير البريطاني في استنبول أبلغهُ فيه أنهُ سمع بالاقتراح القائل برفع العلم البريطاني مع العلم المصري في الخرطوم , وطلب من الحكومة البريطانية أن تعيد النظر في هذا الاقتراح , ولم يتم الرد على السلطان لأن معارضتهُ كانت ودية[٤٠] . وقد قابل السفير العثماني في لندن وزير الخارجية البريطاني , وقد لهُ في نفس الصورة الرسمة التي اعتادت الدولة العثمانية أن ترسلها إلى إنكلترا في المسألة المصرية ومطالبتهُ بالأحتفاظ بالحقوق المقدسة , ولقد أعاد السفير هذا البلاغ ولم ينجز أي أجراء في الموضوع , وأن أقصى ما فعلتهُ الدولة العثمانية للرد على هذا التصريح هي المذكرة التي كتبها ارتين باشا مساعد وزير الخارجية في (٢٣ مايو) بهدف ابلاغها إلى باريس وسان بطرغ ينفذ فيهِ ما جاء في بيان سولبري من تملك بريطانيا الحق الفتح

لبلاد السودان على اعتبار أن السودان كان قبل الثورة المهدية قسماً من مصر , وأن ما حدث فيهِ ليس فتحاً وإنما إعادة إلى السلم كما أن ليس من حق الخديوي أن يتنازل عن قسم منح لهُ وإعطاءهُ لبريطانيا دون موافقة السيد الشرعي لبلادهِ وهو السلطان عبد الحميد الثاني[٤١] . أما أرض السودان وما يحيط بها فكانت المشكلة أكثر تعقيداً مع فرنسا بإعادتها في أعالي النيل , وحملت مارشال التي وصلت إلى أعالي فاشودة لتثبيت هذه الادعاءات , وكان هنالك ليبولد الثاني ملك بلجيكا , وكذلك ادعاءات زعيم الكونغو الذي لم يكن يفوت فرصة إلا وانتهزها للقفز إلى أرض السودان ثم ادعاءات الحبشة التي تلاقت مصالحها مع فرنسا وكذلك بريطانيا[٤٢] .

ثالثاً – موقف فرنسا : كان الخطر الحقيقي والصدام المحتمل مع فرنسا منذ أن وصل كنتشر إلى فاشودة في (١٨ أيلول ١٨٨٩) , حيث جرت الأزمة الشهيرة التي عرفت بأزمة فاشودة , وقد تطورت الأحداث إلى حد التهديدات بالحرب بين بريطانيا وفرنسا , فقد رأى الإنكليز أن بعثة مارشال تعتبر من الأعمال العدائية السافرة , بينما رأت فرنسا أن من حقها الحصول على منطقة أرض لا مالك لها , وقد تأزم الموقف إلى حدٍ بدأت فيه الاستعدادات العسكرية من جانب بريطانيا في وقت كانت تواجه فرنسا فيهِ أزمة السياسة الداخلية وعدم كفاية الاستعدادات العسكرية , بالإضافة إلى عدم حماس روسيا حليفة فرنسا الوحيدة في الاشتراك في أي حرب ضد إنكلترا وما كان بعد هذا الموقف سوى الانسحاب لذلك قررت الانسحاب[٤٣] .

رابعاً – موقف الحبشة (أثيوبيا) : أما الحبشة فقد كانت السياسة البريطانية في غاية الحذر من مخاطر الاصطدام معها , وكان الأشخاص الذين يفكرون في منع الصِدام مع الحبشة أكثر من أولئك اللذين فكرو في منع الصِدام مع فرنسا , وكان المنليك ملك

الحبشة في هذا الوقت سياستهُ الخاصة بهِ , فرغم أن فرنسا قدمت تكيداتها بالعون الدبلوماسي لهُ لكن الدبلوماسية الفرنسية ذات قيمة أمام تقدم كتشنر , ولم يكن لديهِ ما يدعو غلى المزيد من الثقة في الفرنسيين فهو لا ينسى كيف وقفوا وقفة التفرج أثناء صراعهُ مع الإيطاليين , وقد ركز امالهُ في عبدالله التعايشي الذي راهُ يملك جيشاً قوياً يمكن أن يقوم بدور فعال أمام الإنكليز ومن المحتمل كنتيجة لهذا الدور أن ينهار التهديد البريطاني القادم من الشمال قبل الوصول إلى الحبشة(٤٤) .

وبعد معركة كروي ١٩٩٨م انهارت آمال الإمبراطورية الحبشية في حليفها عبدالله التعايشي , كما اظهرت ازمة فاشودة لمنليك أن بريطانيا هي الجانب الأقوى في وادي النيل , فقد دعمت مركزها في مصر , كما كسبت سيطرتها على القسم الأعظم والأكبر من نهر النيل , بينما قبلت فرنسا بالحصول على أي مركز لها في حوض نهر النيل , ولم يكن أمام منليك بعد كل ذلك سوى أن يبعث رسالة إلى سردار عام ١٨٩٨م يبلغهُ بسرورهُ سروراً عظيماً ويهيئهُ بالأنتصار على الدراويش أعداء المسيحين(٤٥) .

خامساً – موقف إيطاليا : لقد كانت إيطاليا راغبة في التخلص من مسؤوليتها الاستعمارية في السودان إلى الإنكليز بعد الهزيمة القاسية التي تعرضوا لها في معركة براتيران على أيدي الأحباش في مارس ١٨٩٦م , بعد أن تغيرت الوزارة في روما , وكان برنامجها الاساسي التخلص من الاستعمار والرغبة في تصفيتهُ إلى أبعد حد , وفعلاً تخلى الإيطاليون عن مراكزهم الاستعمارية في السودان بينها قلعة مسلة إلى المصريين في (٢٠ أيلول ١٨٩٧م) , وتقررت العلاقة بينهم وبين الإنكليز عسكرياً وسياسياً على أساس ابروتوكول (١٥ أبريل ١٨٩٧م) , كما جاء في مرسوم التنازل عن

قلعة كسلة , وقد أعترف الإيطاليون في هذا الابروتوكول بكل السودان منطقة نفوذ بريطانية(٤٦) .

سادساً – موقف الكونغو : لم تبدي دولة الكونغو الحرة أي أعتراض على الوفاق المصري البريطاني إلا أنها ضلت تطمح في الحصول على الامتيازات التي ضمتها لهُ بريطانيا في معاهدة (١٢ مايو ١٨٩٤م) مقابل اعترافها بمركز بريطانيا في السودان لكن بريطانيا رفضت هذا الأمر واستمرت المفاوضات بين الطرفين حتى ١٩٠٠٦م بين شد وجذب , وأزداد التهديد بالصِدام المسلح لكن الموقف أنتهى تماماً لصالح الإنكليز بعد عقد الاتفاقية الإنكليزية – الكونغولية في ١٩٠٦م(٤٧).

المبحث الثالث

أثر الثورات الرافضة للحكم الثنائي وأثر الحرب العالمية الأولى على أنهاء الحكم الثنائي

أولاً – الثورات السودانية الرافضة للحكم الثنائي :

قامت في السودان عدة ثورات رافضة للحكم الثنائي المصري البريطاني بعد تشكيل الحكومة في السودان في يناير ١٨٩٩م , هدئت الأوضاع نوعاً ما ونشر لواء الأمن العام والعدالة , وكانت توجس خيفة من كل الحركات الدينية ؛ لذلك قامت بمراقبة تجمهر الدراويش اتباع الطريقة الصوفية وحذرة بعض مشايخها(٤٨) .

١- **ثورة الشريف محمد الأمين** : في عام ١٩٠٣م قام شخص يدعى الشريف محمد الأمين ؛ وكان من مهاجري العرب , وقد تنقل في الأقطار الإسلامية ومر بالسودان في طريقهُ إلى الحج , وقد رجع من مكة بوثيقة تثبت أنتسابهُ لآل البيت ( ) , وقد نشر دعوته وتبعهُ عدد من الناس , وقد قام ماهون باشا مدير كردفان بتجهيز حملة من الخرطوم , وقد داهم وقتل من قاوم من أتباعه وأسر الباقون بما فيهم زعيم

الحركة نفسه , وقد اعدم شنقاً , وقد دلت التحريات التي قامت بها الحكومة بعد هذه الحادثة أن الدعوة كانت عظيمة الخطر وأنهُ لو ترك الأمر لها لمدة شهرين لانضوى تحت لوائه عدد ضخم من رجال القبائل(٤٩) .

٢- **بعض الثورات المتفرقة** : في عام ١٩٠٤م قام شخص في ضواحي سنجه وادعى أنهُ نبي الله عيسى المسيح ؛ وقام بقطع خط التلغراف وتبعهُ بعض الناس لكن الجيش أخمد حركتهُ في مهدها(٥٠) . وفي عام ١٩٠٦م قام السكان في تالودي بثورة كان ضحيتها عدد من البوليس وعلى رأسهم مأمور تالودي ابوفراس ولو أن الأسباب المباشرة لهذه الحركة كانت شخصية حسب ما تروى إلا انها تدل على استهانة الأهالي بسلطة الحكومة وعدم انصياعهم إلى أوامرها(٥١) . وفي عام ١٩٠٧م قبض على رجل من أهالي برقو أدعى أنهُ عيسى المسيح لكنهُ لم يبشر بدعوته ولم ينضوي أناس تحت لوائه . وقد أدعى شخص أخر في مدني نفس الدعوة لكنهُ رجع إلى صوابه بعد أن قبض عليه(٥٢) .

٣- **ثورة عبد القادر (ود حبوبه)**(٥٣) : في سنة ١٩٠٨م قامت ثورة عبد القادر ود حبوبه في الجزيرة ورئيس هذه الحركة والمشهور بإسم ود حبوبه , كان أشهر رجال القبائل , وكان عبد القادر قد أنخرط بسلك الانصار عندما امتدت الثورة المهدية وسار مجاهداً في جيوش الأمير عبد الرحمن النجومي , وبعد معركة توشكي كان ضمن الأسرى في مصر , وقد سمح لهُ بالعودة إلى بلاده(٥٤) . وكان عبد القادر مخلص للحركة المهدية ولم يعترف بالحكومة الجديدة , وقد تجمع حوله مجموعة ممن كانوا على رأيه وسمعة الحكومة بأن عبد القادر قد كثر أصحابه وتزايد انصاره , فعندها طلب الحومه منه الحضور إلى مركز الحكومي لمقابلته فلم يلبي الطلب , فذهب

مفتش إنكليزي ومأمور مصري لمقابلتهُ وبعدها أيقنت الحكومة أن لابد من القضاء على الثورة في مهدها قبل أن يستفحل امرها , وقد قام الجيش بالقضاء على الحركة وألقي القبض على زعيم الحركة وقد نفذ فيهِ حكم الإعدام[٥٥] .

ثانياً – آثار الحرب العالمية الأولى على الحكم الثنائي : أصبحت الدول الأوربية في حالة حرب والحكم الجديد في السودان لهُ من العمر خمسة عشر عاماً شغلت الحكومة اثناءها بالأمن وتحسين المواصلات , ولقد أعان السكان الحكومة لتعمل بهدوء وطمأنينة ورضخ الناس للنظام الجديد وأن الثورات التي حصلت لم تكن ذات مرحلة كبيرة من الإزعاج[٥٦] . وكان هم الحكومة الجديدة شرح القضية الأوربية عامة , وقضية إنكلترا في تلك الحرب , خاصة وقد كان مفهوماً منذ البداية أن لابد أن تنجرف الدولة العثمانية وان تنظم إلى ألمانيا , وكان على الحكومة أن تهيئ الأذهان وتقاوم الدعاية التي تبثها الدولة العثمانية معتمد على الرابطة الدينية ونظام الخليفة في نظر العالم الإسلامي , وكانت التقارير التي ترد على الأقاليم تأكد أن الحالة على مايرام وأن الناس كانوا مؤيدين للحكومة في ذلك الصراع العالمي وأنهُ ليس هناك دلائل شعور ديني في صالح الدولة العثمانية في ما إذا أصبحت عدوة إنكلترا[٥٧] . وفي أكتوبر عام ١٩١٤م قام الحاكم العام في السودان السير ريجلند بالتحرك في الاقاليم فمر بالجزيرة والأبيض وبورت سودان واتصل هناك بزعماء القبائل والأعيان وكبار الموظفين شارحاً لهُ أحدى الجرائد الرادة في ذلك الوقت , والتي كانت تصدر من الخرطوم دور كبير في تبني الدعاية اللازمة بمثل ما ان يشرحهُ القائد العام من اجل تهيئة الأجواء لنبأ دخول الدولة العثمانية الحرب[٥٨] . وفي يوم (٦ نوفمبر ١٩١٤م) وصلت الأخبار للخرطوم بإعلان العداء بين الدولة العثمانية وبريطانيا , وكنتيجة لذلك دعى الحاكم العام في السودان

عدد من الضباط الكبار في الجيش المصري وخطب فيهم قائلاً "لقد دعوتكم لتستمعوا ما سيظهر من خبر في السودان بشأن الحرب " وأستمر في كلامه شارحاً لهم الأسباب وكد عليهم وجوب أخلاصهم في عملهم وختم كلامهُ بأنهُ على استعداد أن يفي الضباط الذين هم من أصل تركي الذين لا تسمح لهم ضمائرهم أن يقاتلوا أبناء جنسهم وقد قابل العلماء وشرح لهم الحالة أيضاً[٥٩] . وقد كان الحاكم العام يشجع رجال الحكومة على بث الدعاية بين أوساط الشعب السوداني , وقد نجحت الدعاية نجاحاً باهراً , وخاصةً وما يعرفهُ أهل السودان عن الأتراك فهم لم يعرفوا عن الدولة العثمانية إلا الحاكم والجندي والقسوة والفضاضة والجلد بالسياط ونفروا منه عندما كانت السودان تحت الحكم الإداري العثماني , وهكذا عندما أعلنت الدولة العثمانية الحرب اطمأنت حكومة السودان إلى ولاء البلاد والشعب ولم يذعنوا للدعاية الدينية للدولة العثمانية[٦٠] .

ثالثاً – نهاية الحكم الثنائي في السودان : بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م اعتمدت بريطانيا نظام الحكم اللامركزي والذي اعاد النظام القبلي إلى سالف عهده , إذ قامت بريطانيا بتعيين سودانيين في إدارات بلادهم من خلال اصدارها تشريعات عدة تمنح زعماء القبائل السودانية بعض السلطات على أفراد قبائلهم , وذلك من أجل خفض تكاليف الإدارة وضرب الحركة الوطنية السودانية , وأن هذه السياسة قد أحيت النعرة القبلية التي سعت الحركة المهدية إلى أخمادها , وقد تكونت تنظيمات سياسية فعلية في السودان شكلها مجموعة من خريجي كلية غوردون[٦١] , وقد دعوا غلى استقلال كل من مصر والسودان وتهيئة الشعب السوداني للنهوض حضارياً وفكرياً[٦٢] . كما تشكلت جمعية أخرى عام ١٩٢٣م وهي جمعية اللواء الأبيض التي لعبت دوراً مهماً في الحياة السياسية في السودان , حيث كونها نخبة من الوطنيين الذين

كانوا أعضاء من جمعية الاتحاد السوداني[٦٣] . وقد قابلت السلطات البريطانية هذه الجمعيات السياسية بقسوة شديدة وقد لمس الشعب السوداني هذه القسوة وظهرت ضد السياسة الاستعمارية البريطانية عدة مظاهرات شاركت فيها مختلف فئات وشرائح المجتمع من طلبة ومواطنين ومدنين وعسكريين , وما زاد من هياج الشعب خروج الجماهير الغاضبة , وكانت مظاهرات مؤيدة لقادة جمعية اللواء الأبيض الذين تم اعتقالهم في آب ١٩٢٤م . وبعد هذه الثورة حدثت ثورة أخرى دارت احداثها في الخرطوم في (٢٧ تشرين الثاني) بين الجيش البريطاني والوحدات التابعة للجيش المصري على أثر مقتل السير لي ستاك قائد الجيش المصري الحر والحاكم العام البريطاني في الوقت الذي كان فيهِ سعد زغلول رئيس للوزراء , فاستغلت الإدارة البريطانية هذا الحادث وطلبت من حكومة سعد زغلول عدة مطالب , منها ضرورة سحب الجيش المصري من السودان ؛ فرفض سعد زغلول هذا الطلب , لذلك قامت الحكومة البريطانية بالعمل على إقالة سعد زغلول وفعلاً تم إقالة سعد زغلول وتعيين زوير باشا الذي قام بسحب القوات المصرية بأمر من الخديوي ,وتم سحب القوات المصرية من السودان[٦٤]. أن أحداث ثورة عام ١٩٢٤م كانت خاتمة لوجود الجيش المصري في السودان وانفراد بريطانيا بالسيطرة عليه , وقد عملت على محاربة المتعلمين والأخذ بيد غير المتعلمين , وقد فتحت لهم أبواب القيادة والتمكين من السيطرة على الحياة السياسية في السودان[٦٥] .

رابعاً – مشروعية الاتفاق الثنائي البريطاني – المصري للسودان[٦٦] : الكثير من رجال القانون والسياسة اعتبروا الاتفاقية ملغاة من الناحية القانونية ولا قيمة لها لعدة اعتبارات ومنها :

١- أن مصر ليست لها الصفة التي تخولها عقد اتفاق دولي كاتفاقية ١٨٩٩م , إذ أنها مقاطعة من مقاطعات الدولة العثمانية , وقد أجمع فقهاء القانون على أن هذا النوع من "الدولة التابعة" عاجزة اطلاقاً من عقد الاتفاقيات الدولية .

٢- أن الخديوي ليس لهُ الصلة التي تخوله التوقيع على الوفاق , لأن الخديوي حاكم مقاطعة أو ولاية وليس سيداً أو ملكاً , فهو لا يملك الأراضي التي عهد إليه بالحكم عليها فقط والمحافظة عليها ليتولى شؤونها بوصفه نائباً أو موظفاً عن السلطان العثماني في ذلك , ولهذا فأن سلطتهُ محدودة ومقيدة بالشروط والفرمانات التي تضمنتها الفرمات التي افادتهُ في حكم هذه الأراضي .

٣- أن إنكلترا وهي مرتبطة بمعاهدات سابقة لا يمكن أن تتخلص من العهود التي قطعتها على نفسها , كونها اعترفت في كل المعاهدات الدولية بمبدأ المحافظة على كيان الإمبراطورية العثمانية إذ وقعت مع النمسا والمجر وبروسيا , وروسيا اتفاقية لندن في (١٥ تموز ١٨٤٠م) ومذكرة (٣٠ كانون الأول ١٨٤١م) , والمذكرة المشتركة في (١١ آذار ١٨٤١م) , ومعاهدة باريس في (٣٠ آذار ١٨٥٦م) , ثم معاهدة برلين في (١٣ تموز ١٨٧٦م) , وبروتوكول النزاهة الصادرة عن مؤتمر الاستبانة في ١٨٨٢م , وهي قد أعلنت أن الأراضي السودانية أراضي عثمانية , وعلى ذلك فأن إنكلترا مرتبطة بما تعهدت بهِ ولا يمكن ان تدعي الجهل بالوضع السياسي والقانوني الذي كان لمصر .

٤- أن ليس لإنكلترا ولا لمصر الحق في الاعتداء على حقوق معينة صارت للدول , والمقصود بهذه الحقوق الامتيازات الأجنبية , إذ منعت في المادة (٦ , ٧ , ٨ , ٩ , ١١) من الاتفاق امتداد سلطات المحاكم المختلطة على السودان وألغت

الامتيازات المتعلقة بالضرائب الجمركية وتعيين القتاة وإقامتهم والذين أصبح لا يجوز تعيينهم ولا يصرح لهم بالإقامة قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية .

خامساً – استقلال السودان عام ١٩٥٦: جاءت الثورة المصرية في الثالث والعشرين من تموز / يوليو عام ١٩٥٢م[٦٧] بستة مبادئ وبفهم جديد للقضية السودانية والعلاقات المصرية السودانية , إذ كانت من أولويات ثورة يوليو القضاء على الاستعمار وأعوانه في مصر وعدم المطالبة بالسيادة على السودان , وحق تقرير الشعب السوداني لمصيرهُ , خاصة وأنهُ كان هناك من بين أعضاء مجلس قيادة الثورة المصرية من عمل في السودان ومن ضمنهم (جمال عبد الناصر , أنور السادات ... وأخرون)[٦٨] , مدة طويلة والذي أدى إلى توثيق العلاقات المصرية – السودانية, إذ لاقت تلك الثورة ترحيباً كبيراً في السودان , وكان صداها كبيراً بين كافة أطباق الشعب السوداني[٦٩] . وفي السياق نفسه أكد اجتماع مجلس قيادة الثورة المصري في (الخامس عشر من آب ١٩٥٢م) وبعد أقل من شهر من قيام الثورة المصرية تم الأعتراف بحق أهل السودان في تقرير مصيرهم وأنهاء الحكم الثنائي البريطاني – المصري وأجزاء تعديلات في الدستور بمنح السودانيين بعض السلطات في المدة الانتقالية , إذ تقدم اللواء محمد نجيب[٧٠] . بإجراء مفاوضات مع الحكومة البريطانية والتي أنتهت بالتوصل إلى توقيع اتفاقية الحكم الذاتي للسودان في الثاني عشر من شباط ١٩٥٣م , والذي تضمنت (تقرير مصير السودان كوحدة لا تتجزأ , خلق فترة انتقال مقدارها ثلاث سنوات , تساعد الحاكم العام لجنة دولية خماسية , أعداد دستور للبلاد لأجل انتخاب برلمان سوداني دائم , وأنسحاب القوات العسكرية البريطانية والمصرية من أجل تهيئة جو محايد لتقرير المصير , وتنفيذاً لهذه الاتفاقية اصدر الحاكم العام قانون الحكم الذاتي في آذار عام

١٩٥٣م[٧١] . وعندما قاربت مدة الثلاث سنوات على الانتهاء , أبلغت الحكومة السودانية دولة الحكم الثنائي لقرار الجمعية التأسيسية بالرغبة في مزاولة حق تقرير المصير , وطالبت بسحب جيش الإحتلال لإجراء الاستفتاء في جو محايد وأعلنت الحكومة بقبول قرار الجمعية التأسيسية وأمرت بسحب الجيوش وبادرت الحكومة المصرية بترك كافة الأسلحة الثقيلة التي كانت تخص جيشها في السودان , وتم الجلاء فعلاً في نوفمبر عام ١٩٥٥م[٧٢] . وما أن أنتهى الانسحاب حتى أعلنت الحكومة السودانية أن الأمر لا يدعوا إلى إجراء استفتاء آخر بشأن شكل الحكم القادم في السودان , وأعلنت قيام الجمهورية السودانية ابتداءً من (١٩ تشرين الثاني عام ١٩٥٥م) , وهو تاريخ قرار البرلمان بالاستقلال وأبلغت ذلك إلى دولتي الحكم الثنائي رغم معارضة هذا القرار معارضةً صريحةً لاتفاقية السودان وعدم قانونيته لم يمنع الحكومتان المصرية والبريطانية سوى الاعتراف بالجمهورية السودانية , وبذلك تم استقلال السودان استقلالاً تاماً دون معاهدة أو استثناء أو تقرير المصير[٧٣] . ومن جانب آخر اصدر مجلس النواب السوداني بيان موجه إلى الحاكم العام البريطاني آنذاك (روبرت هاو R.Haw) جاء فيه " نحن أعضاء مجلس النواب في البرلمان نعلن بأسم الشعب السوداني أن السودان قد أصبح دولةً مستقلةً كاملة السيادة , ونرجو من معاليكم أن تطلبوا من دولتي الحكم الثنائي الأعتراف بهذا الإعلان فوراً " . وفي الأول من كان الثاني من عام ١٩٥٦م قام إسماعيل الأزهري ممثلاً عن الحزب الوطني , ومحمد أحمد المحمود رئيس حزب الأمة السوداني وبالأتفاق مع كافة أطباق الشعب السوداني بأنزال علم الحكومة المصرية ؛ وعلم الحكومة البريطانية ؛ ورفع علم الجمهورية السودانية , إذ كان السودانيون بمختلف فئاتهم الاجتماعية بانتظار هذا اليوم[٧٤]. وبين عامي ١٨٩٨م و ١٩٥٦ م وفي أقل من ستين عاماً أصبح السودان

دولة متطورة بكل أجهزة الدولة ومظاهر الحضارة , أنشأت المدارس وجامعةً واحدةً ومستشفيات ومدرسة للطب , وسككك حديدية وإدارات نهرية وخطوط للطيران وخدمات بريدية وبرقية وميناء جديد على البحر الأحمر , ومساحات شاسعة من الأراضي المروية , ونظام للحكم المحلي ينتشر في أنحاء البلاد , وبرلمان مركزي ومجلس للوزراء كل ذلك كان شيئاً جديداً , فضلاً عن تأسيس نظام للمحاكم , وقامت قوات الشرطة بالمحافظة على السلام في أنحاء البلاد , إذ لم يكن من الممكن الذهاب إلى أماكن بعيدة عن المنازل بدون حماية مسلحة , وأصبحت المدن أكثر أماناً كما في باقي البلدان[٧٥] . والسودان منذ استقلالهُ في العام ١٩٥٦م قدم الكثير من المنجزات الحضارية وبحدوده الحالية الكثير الكثير من أجل استقرار العالم اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً , وذلك عبر حضارات متعددة على طول مجرى نهر النيل .

الخاتمة

بعد دراسة المواضيع التي تطرق إليها موضوع البحث استنتج عدة نقاط هي :

١- أن بلاد السودان كانت رافضة للسيطرة العثمانية على البلاد وهذا ما تجسد من خلال الثورة المهدية والثورات التي قامت في السودان أثناء الحكم الثنائي , والتي كان أبرزها ثورة الشريف محمد الأمين , وثورة عبدالقادر "ود حبوبه" .

٢- أن السماح البريطاني ببقاء النفوذ المصري في السودان بعد السيطرة البريطانية لم تكن سوى لاستفادة من الجيش المصري لحماية المصالح البريطانية .

٣- وأن المعاهدة البريطانية – المصرية عام ١٨٩٩م لم يشارك المصريين بشكل فاعل في بنودها , وإنما كانت الصفة الغالبة عليها صفة بريطانية , كان لكرومر دور كبير فيها ولم يكن لبطرس غالي سوى التوقيع عليها .

٤- الوجود المصري البريطاني في السودان لم يقدم أي خدمة تستحق الذكر للشعب السوداني , وإنما زاد هذا الوجود من المشاكل التي كان الشعب في السودان يعاني منها كثيراً ويلتمس حلها من قبل بريطانيا أو حليفاً في السودان القوات المصرية .

٥- لم تراعي السلطات البريطانية سوى مصالحها في السودان لذلك نراها بعد انفرادها في السودان أخذت تقرب العناصر غير المتعلمة , ورجال القبائل الأمر الذي أدى إلى تأزم القبلية في السودان .

٦- اعتبرت اتفاقية الحكم الثنائي ملغاة من الناحية القانونية .

٧- كان للجهود المصرية الدور الكبير في حصول السودان على استقلالها لعام ١٩٥٦.

الهوامش :

(١) جودة حسن جودة , جغرافية أفريقيا الإقليمية , منشأة المعارف , د. ط , الإسكندرية , ١٩٨١ , ص٢١٨ .

(٢) عبد الكريم الغزي , الحياة السياسية في السودان , رسالة ماجستير (غير منشورة) , مقدمة إلى كلية التربية أبن رشد , جامعة بغداد , ٢٠٠٣ , ص٦ .

(٣) زاهية مصطفى قدورة , تاريخ العرب الحديث , شركة علاء الدين للطباعة , د. ط , بيروت , ١٩٦٧ , ص٣٩١ .

(٤) يسرى عبد الرزاق الجوهري , جمهورية السودان , دار الطلبة , د. ط , بيروت , ١٩٦٩ , ص٩٥ .

(٥) عبد الكريم الغزي , المصدر السابق , ص٨ .

(٦) مدثر عبد الرحيم , الإمبريالية والقومية في السودان , دار النهار للنشر , د. ط , بيروت , ١٩٧١ , ص١١ .

(٧) عبد الرحيم , المصدر السابق , ص١٢ .

(٨) عبد العزيز كامل , دراسات في الجغرافية البشرية للسودان , دار المعارف , د. ط , القاهرة , ١٩٧٤ , ص١٣ .

(٩) الفحل الفلكي الطاهر , تاريخ أصول العرب , دار الطابع العربي , د. ط , الخرطوم , ١٩٧٦ .

(١٠) عبد الكريم الغزي , المصدر السابق , ص٦ .

(١١) محمد عمر بشير,التنوع والإقليمية والوحدة القومية ,ترجمة سلوى مكاوي , سلسلة الثقافة ,(د. ط) ,الخرطوم,(د. ت),ص٢٥

(١٢) محمد علي باشا . (١٨٠٥ – ١٨٤٩) : مؤسس دولة مصر الحديثة , ولد في قولة عام ١٧٤٩ كفلهُ عمهُ بعد وفاة والده , أتخذ من تجارة التبغ مهنة لهُ , قدم إلى مصر وكيلاً لرئيس قوة من المتطوعين تتألف من (٣٠٠) مقاتل لرد الفرنسيين عن مصر عام ١٨٠١ , سيطر عام ١٨٠٥ على الحكم في مصر بمساعدة القادة الالبان والعلماء والمصريين بعد كسب ودهم وعطفهم , قام بعدة توسعات ومنها (حروب الحجاز , الجزيرة العربية) نظم أمور الحكم المصري على النمط الحديث حتى وفاتهِ عام ١٨٤٩ , لمعرفة المزيد ينظر : بشرى ناصر هاشم الساعدي , الإدارة المصرية في السودان ١٨٢٠ – ١٨٨٥ , اطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية التربية , الجامعة المستنصرية , ٢٠٠٧ , ص٣٠ .

(١٣) علي عبد الرحمن الأمين , الديمقراطية والاشتراكية في السودان , المكتبة العصرية , (د. ط) , بيروت , ١٩٧٠٠ , ص٢٤.

(١٤) مكي شبيكه , مختصر تاريخ السودان الحديث والعالمية ,معهد الدراسات العربيةوالعالمية , (د. ط) , مطبعة الجيلاوي , القاهرة , ١٩٦٣ , ص١٤ .

(١٥) المصدر نفسه , ص٢٤ .

(١٦) علي عبد الرحمن الأمين , المصدر السابق , ص٢٥ .

(١٧)مكي شبيكه, تاريخ وادي النيل(مصر والسودان) في القرن التاسع عشرالميلادي ,دار الثقافة,(د. ط), بيروت ,(د.ت),ص٢٤٢

(١٨) غوردون : أصلهُ أسكتلندي بلغ رتبة فريق في الجيش المصري ودخل في خدمة الحكومة المصرية وأصبح مديراً على الاستوائية عام ١٨٧٤م وأسس عدداً من النقط حول النيل وعمل في توسيع سلطة الخديوي حتى استقال عام ١٨٧٧م , وعاد حاكماً على السودان خلال المدة (١٨٧٧ – ١٨٧٩م) , وكلف بالقضاء على تجارة الرقيق وواجه مشاكل داخلية

حتى استقال سنة ١٨٧٩م بعد تنحية الخديوي إسماعيل صديقهُ الحميم , وفي عام ١٨٨٤م عين مرة أخرى حاكماً عاماً للسودان حيث وصل إلى الخرطوم , وكلف من الهيئة الاستشارية العسكرية لوزارة الدفاع البريطانية بمهمة اخلاء الحامية المصرية من السودان وصادق عليهِ كلادتسون , وفي عام ١٨٨٥م تمكنت قوات المهدي من قتله وكان مقتل غردون سبباً في سقوط وزارة الأحرار البريطانية عام ١٨٨٥م . للمزيد أنظر : الموسوعة الحرة : https://ar.wipedia.org .

(١٩) محمد إبراهيم أبو سليم , الحركة الفكرية في المهدية , دار جامعة الخرطوم , الخرطوم , ط٣ , ١٩٨٩ , ص١٦ .

(٢٠) ابتسام محمود جواد العكيلي , الحياة الديمقراطية في السودان (١٩٥٣ – ١٩٦٩) , رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية للبنات , جامعة بغداد , ٢٠٠٣ , ص٨ .

(٢١) محمد بن أحمد المهدي : هو محمد بن عبدالله بن فحل ولد عام ١٨٤٥ بمدينة دنقلة في جزيرة (لب) وتعلم القرآن والعلوم الشرعية وبدأ ينتقد أعمال السلطات الإدارية محاولاً معالجتها , وقد جهر بدعوته عام ١٨٨١ وقد تمكن من تأسيس حركة دينية سمية بأسمهُ وهي الحركة المهدية , وقد تمكنت هذه الحركة من أثبات وجوها في الساحة العربية وفي السودان بوجه الخصوص , وقد واصل كفاحهُ إلى أن توفي في عام ١٨٨٥ . للمزيد أنظر: الموسوعة الحرة : https://ar.wipedia.orj .

(٢٢)جلال يحيى ,الثورة المهدية وأصول السياسة البريطانية في السودان, ط١ ,مكتبة النهضة المصرية, القاهرة , ١٩٥٩,ص٢٠

(٢٣) يوسف الشلالي : ولد في الخرطوم وعين برتبة لواء عام ١٨٧٩ , حيث قاد حملة بجيش كبير لمواجهة أحمد محمد المهدي الذي قام بإبادة حملته عام ١٨٨٢٢ . للمزيد أنظر : الموسوعة العربية الميسرة : https://arb.ency.com .

(٢٤) مكي شبيكه , السودان والثورة المهدية , ج١ , دار الخرطوم للنشر , الخرطوم , ط١ , ١٩٧٨ , ص٢٤٠ .

(٢٥) صلاح محي الدين , وقفات من تاريخ السودان , دار مكتبة الهلال للنشر , بيروت , ط٣ , ١٩٩٥ , ص١٥ .

(٢٦) عبدالله التعايشي :وهو عبدالله بن السيد محمود حسين ولد في دارفور عام ١٨٤٦م , وعمل على تولي خلافة المهدي ودخل في معارك عنيفة ضد السيطرة الاستعمارية حتى توفي في معركة أم دويكرات في الرابع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٨٩٩. للمزيد أنظر: شوقي الجمل ,تاريخ سودان وادي النيل , ج٢ ,المكتبة الأنكلو مصرية , (د.ط) , القاهرة, ١٩٦٩ ,ص٦٩٠.

(٢٧) بوتان لبيب رزق,السودان في عهدالحكم الثنائي الأول ١٨٩٩– ١٩٢٤, ط١ , دار نافع للطباعة ,(د. ت), ١٩٧٦ ,ص٢٨

(٢٨) محمود شاكر السودان , المكتب الإسلامي في أفريقيا , بيروت , ط , ١٩٨١ , ص٣٨ .

(٢٩) محمد إبراهيم أبو سليم , الحركة الفكرية في المهدية , دار جامعة الخرطوم , (د. ط) , الخرطوم , ١٩٨٩ .

(٣٠) كنتشر , هوراشيو هربرت كتشنر , ايرل : ١٨٥٠ – ١٩١٧ قائد وسياسي بريطاني , دخل خدمة الجيش المصري عام ١٨٨٣ حين شرع الإنكليز يعيدون تنظيمه بعد أحتلالهم مصر , عين حاكم للسوادن الشرقي (١٨٨٦ – ١٨٨٨) ورد المهديين حينما حاولوا غزو مصر (١٨٨٩) . عين سردار الجيش المصري ١٨٩٢ , وقاد الجيش المصري الإنكليزي لإسترجاع السودان (١٨٩٦ – ١٨٩٩) , وبعد أنتصارهُ في معركة أم درمان الفاصلة عين حاكماً "عاماً" للسودان . عين قنصلاً "عاماً" بمصر (١٩١١ – ١٩١٤) فصار الحاكم الفعلي لهذه البلاد , وعند نشوب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) عين وزيراً للحربية البريطانية , فعمل على تكبير الجيش البريطاني , ولكن الجرائد الإنكليزية هاجمتهُ بعنف لنقص الذخيرة لدى الجيش , لم يكن محبوباً من اكثر زملائهِ الوزراء , وأرسل في أواخر عام ١٩١٦ إلى روسيا لإعادة تنظيم إدارتها الحربية الهائلة , ولكن أغرقت الطرادة البريطانية التي كانت تقلهُ في ظروف غامضة , ومات غريقاً . للمزيد أنظر : الموسوعة العربية الميسرة : https://www.arb.ency.com

(٣١) مكي شبيكه , السودان عبر القرون , دار الثقافة , ط١ , بيروت , (د. ت) , ص٤٦٤ .

(٣٢) دينا فاروق صالح العمر , الفريق إبراهيم عبود والحكم العسكري الأول في السودان ١٩٥٨ – ١٩٦٤ , مراجعة ليلى ياسين , تقديم صادق حسن السوداني , ط١ , مطبعة جعفر العصاحي للطباعة والتجليد الفني , بغداد , ٢٠١٧ , ص٢٣ .

(٣٣) كرومر , افلن بيرنج , ايرل : (١٨٤١ – ١٩٧١) اداري ودبلوماسي بريطاني , عين ضابطاً ١٨٥٨ , والمندوب البريطاني بصندوق الدين الذي الفهُ الخديوي إسماعيل لكي يطمئن الاجانب على اموالهم التي اقترضوها لهُ , ثم مندوب بريطانيا في المراقبة الثنائية ١٨٧٩ , اختارتهُ الحكومة البريطانية ١٨٨٣م عقب الاحتلال البريطاني لمصر ليكون " الوكيل البريطاني والقنصل العام بمصر " بدرجة وزير مفوض في السلك الدبلوماسي , ومنذ ذلك الحين حتى استقالتهُ ١٩٠٧ , كان الحاكم الحقيقي لمصر وكرومر كاتب ممتاز الف " مصر الحديثة " ١٩٠٨ , " الاستعمار القديم والحديث " ١٩١٠ , عينتهُ الحكومة الانكليزية ١٩١٧ لرياسة اللجنة التي ألفتها لبحث اسباب فشل حملة الدردنيل , ولكنهُ مات في العام نفسه قبل أن تنجز اللجنة عملها . للمزيد أنظر : الموسوعة العربية الميسرة : https://www.arb.ency.com .

(٣٤) منى حسين عبيد الشمالي , الأحزاب الأتحادية في السودان ١٩٤٤ – ١٩٦٩م , اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية للبنات في جامعة بغداد , ٢٠٠٤ , ص١٦ .

(٣٥) بوتان لبيب رزق , المصدر السابق , ص٤٨ .

(٣٦) نقلاً عن : مكي شبيكه , السودان عبر قرون , المصدر السابق , ص٤١٦ – ٤٦٧ .

(٣٧) مكي شبيكه , السودان عبر القرون , المصدر السابق , ص٤٦٩ .

(٣٨) لبيب رزق , المصدر السابق , ص٥٥ .

(٣٩) محمود فؤاد شكري , مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسي في القرن التاسع عشر ١٨٢٠ – ١٨٩٩ , ط١ , دار المعارف , القاهرة , ١٩٦٣ , ص٥٢٩ .

(٤٠) يونان ليبيا رزق , السودان في الحكم الثنائي الأول , المصدر السابق , ص٥٦ .

(٤١) المصدر نفسه , ص٥٧ .

(٤٢) المصدر نفسه , ٥٨ .

(٤٣) يونان , السودان في الحكم الثنائي , المصدر السابق , ص٥٨ .

(٤٤) مكي شبيكه , تاريخ شعوب وادي النيل , المصدر السابق , ص٥٠٣ .

(٤٥) كرومر , بريطانيا في السودان , تعريب عبدالعزيز أحمد عرابي , دار الطباعة الحديثة , القاهرة , ط١ , ١٩٦٠ , ص٨.

(٤٦) ضرار صالح ضرار , تاريخ السودان الحديث , دار مكتبة الحياة بيروت , ط٤ , ١٩٦٨ , ص٢١١ .

(٤٧) يونان , المصدر السابق , ص٦٠ .

(٤٨) مكي شبيكه , السودان عبر القرون , المصدر السابق , ص٥٠٠ .

(٤٩) المصدر نفسه , ص٥٠١ .

(٥٠) المصدر نفسه , ص٥٠٢ .

(٥١) المصدر نفسه , ص٥٠٣ .

(٥٢) المصدر نفسه , ص٥٠٤ .

(٥٣) ود حبوبه : وهو عبد القادر محمد إمام ود حبوبه من أبناء قبيلة الجلاويين في منطقة الجزيرة في السودان ومن المؤمنين بالدعوة المهدية , وقد اشتبك مع الإنكليز وازداد نشاطهُ العدائي بعد مساعدة اتباعه في مناطق متفرقة في السودان , والقت القبض عليه القوات البريطانية وأصدرت حكماً بالإعدام بحقهِ وذلك في أيار عام ١٩٠٨م . للمزيد أنظر : مكي شبيكة , تاريخ شعوب وادي النيل , المصدر السابق , ص٢٥٤ .

(٥٤) مكي شبيكه , السودان عبر القرون , المصدر السابق , ص٥٠٢ .

(٥٥) المصدر نفسه , ص٥٠٣ .

(٥٦) علي السيد الحبيبي , الحكم المحلي للسودان , المنظمة العربية , الخرطوم , ١٩٧٠ , ص٦ .

(٥٧) ابتسام , المصدر السابق , ص١٣ .

(٥٨) ضرار , المصدر السابق , ص٢٥٢ .

(٥٩) مكي شبيكه , تاريخ السودان الحديث , المصدر السابق , ص١٣٩ .

(٦٠) المصدر نفسه , ص١٣١ .

(٦١) سميت بإسم الحاكم العام الأسبق (غوردن) تخليداً لهُ , وقد انشأت بقصد أعداد السودانيين لكي يشغلوا الوظائف الكتابية البسيطة , إلا أنها قد توسعت فيما بعد لتشمل المرحلة الثانوية مع دراسات خاصة للمعلمين والمهندسين لإضفاء عليها الطابع المهني ؛ وذلك عام ١٩٠٥ , للمزيد أنظر : عبد المجيد عابدين , تاريخ الثقافة العربية في السودان , دار الثقافة العربية , الخرطوم , ١٩٦٧ , ص١٥٥ .

(٦٢) منى الشمالي , المصدر السابق , ص٣٢ .

(٦٣) يونان لبيب رزق , التكامل التاريخي بين مصر والسودان , مجلة السياسة الدولية , عدد(٣) , القاهرة , ١٩٧٨ , ص .

(٦٤) مكي شبيكه , مختصر تاريخ السودان الحديث , المصدر السابق , ص١٣٠ .

(٦٥) المصدر نفسه , ص١٣١ .

(٦٦) محمد فؤاد شكري , المصدر السابق , ص٥٣٦ – ٥٣٧ .

(٦٧) ثورة ٢٣ تموز/يوليو ١٩٥٢م : هي حركة تغير سلمي قادها ضد الجيش المصري بقيادة محمد نجيب في منتصف ليلة تموز لعام ١٩٥٢م لغرض القيام بانقلاب عسكري على الحكومة , نجحت بأنهاء الحكم الملكي وأرغام الملك فاروق عن التنازل عن الحكم وإعلان الجمهورية والإطاحة بوزارة أحمد نجيب الهلالي وأجبر علي ماهر بتشكيل حكومة تنسجم مع توجهات الثورة واقتصارها ...., للمزيد أنظر : عبدالوهاب الكيالي , الموسوعة السياسية , ج١ , ط , بيروت , ١٩٩٢ , ص٧٢٢ – ٧٢٣ .

(٦٨) جمال عبد الناصر :القائد الفعلي لثورة يوليو عام ١٩٥٢، ورائداً لحركات التحرير في الشرق الأوسط والدول الأفريقية، وهو ثانى رؤساء الجمهورية بعد زوال حكم الملك فاروق، كما أنه من مؤسسي حركة دول عدم الانحياز. وُلد جمال عبد الناصر في ١٥ يناير ١٩١٨، في حي باكوس الشعبي بالإسكندرية، لأسرة تنتمي إلى قرية بني مر بمحافظة أسيوط في صعيد مصر، وانتقل في مرحلة التعليم الأولية بين العديد من المدارس الابتدائية حيث كان والده دائم التنقل بحكم وظيفته في مصلحة البريد، فأنهى دراسته الابتدائية في قرية الخطاطبة إحدى قرى دلتا مصر، ثم سافر إلى القاهرة لاستكمال دراسته الثانوية، فحصل على شهادة البكالوريا من مدرسة النهضة الثانوية بحي الظاهر بالقاهرة في عام ١٩٣٧.للمزيد ينظر: نعيمة لطيف

عبدالله , الحركة العمالية والمهنية في عهد الرئيس حسني مبارك ١٩٨١ – ٢٠١١ ,أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ,جامعة البصرة ,كلية الآداب , ٢٠٢٠ , ص٢٠.

أنور السادات : محمد انور السادات ثالث رئيس لجمهورية مصر وحكمها من ١٩٧٠ إلى أن تم اغتياله في ٦ اكتوبر سنة ١٩٨١. ولد السادات في ٢٥ ديسمبر ١٩١٨ في قرية ميت ابو الكوم في مركز تلا في محافظة المنوفية .زوجتهُ "جيهان صفوت" سنة ١٩٤٩ بعد ما انفصل عن زوجتهُ الأولى اقبال ماضي التي كان متزوجها سنة ١٩٤٠. وله ٣ بنات من "جيهان" , التي اشتهرت بجيهان السادات. اشتهر السادات بقوته وبصراحته وبذكائه وحكمتهُ وحبه لمصر وقدر يطلعها من دائرة الحروب والدمار للتنمية و الانفتاح ورجع اسمها التاريخي العريق التي تنازل عنها جمال عبد الناصر التي حكم قبله لأول مره في تاريخها. أخد جائزة نوبل للسلام. للمزيد أنظر : نعيمة لطيف عبدالله , المصدر السابق , ص٣٨ .

(٦٩) دينا فاروق صالح , الفريق إبراهيم عبود والحكم العسكري الأول في السودان ١٩٥٨ – ١٩٦٤ ,المصدر السابق , ص٢٥.

(٧٠) محمد نجيب (ولد في ١٩ فبراير ١٩٠١ – توفي في ٢٨ أغسطس ١٩٨٤)، كان أول رئيس لمصر، خدم في المنصب منذ إعلان الجمهورية في ١٨ يونيو ١٩٥٣ حتى ١٤ نوفمبر ١٩٥٤. مع جمال عبد الناصر، كان من أبرز زعماء ثورة ١٩٥٢، التي أنهت حكم أسرة محمد علي في مصر والسودان. أعلن نجيب مباديء الثورة الستة وحدد الملكية الزراعية. وكان له شخصيته وشعبيته المحببة في صفوف الجيش والشعب المصري. حتي قبل الثورة لدوره البطولي في حرب فلسطين. وقد تقلد منصب رئاسة الوزراء ثلاث مرات. الأولى من ٧ سبتمبر ١٩٥٢ حتى ١٨ يوليو ١٩٥٣ والثانية من ١٨ يوليو ١٩٥٣ حتى ٢٥ فبراير ١٩٥٤والثالثة من ٨ مارس ١٩٥٤ حتى ١٧ أبريل ١٩٥٤. للمزيد ينظر: "ذاكرة مصر المعاصرة – السيرة الذاتية".Modern Egypt. Retrieved 22 December 2012.

(٧١) محمد عامر بشير , الجلاء والاستقلال , ط١ , الدار الودانية ١٩٧٥ , ص١٠٨ – ١١١ ؛ دينا فاروق صالح العمر , المصدر السابق , ص٢٨ .

(٧٢) خضير حميد , الحركة الوطنية السودانية – الاستقلال وما بعده , ط١ , الشارقة , ١٩٨٠ , ص١٩٠ .

(٧٣) خضير حميد , المصدر السابق , ص١٩١ .

(٧٤) دنيا فاروق صالح العمر , المصدر السابق , ص٣٨ .

(٧٥) السير جيمس روبرتون , السودان من الحكم البريطاني المباشر إلى فجر الاستقلال , تعريب مصطفى عابدين الخانجي , ط١ , دار الجميل , بيروت , ١٩٩٦ , ص٢٤٥ ؛ الفاتح كامل , مؤامرة تقسيم السودان , ط١ , اليقظة السودان , الخرطوم , ٢٠١١ , ص٦٣ – ٦٤ .